مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد السابع عشر، العدد الثاني، ص57- ص90 يونيو 2009
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى

د. حمدان رضوان أبو عاصي

أستاذ اللغة والنحو المساعد بكلية فلسطين التقنية – دير البلح- فلسطين

عنــوان بريــدي: ص.ب. دير البلــح P.O. Box 6037

عنوان إلكتروني:**hamdan1954@yahoo.com**

ملخص: يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل الأداءات الخارجية (اللغة الجانبية) التي تصاحب الكلام، وتسهم في تحديد معناه وتؤثِّر في دلالته بوصفه سلوكاً لغوياً بشرياً. وهي تختلف عن الأداءات الداخلية النابعة من القرائن الصوتية، والصرفية، والتركيبية النحوية، والمعجمية، والبيانية للكلمة أو التركيب. وقد قسِّمت هذه الأداءات الخارجية قسمين: أحدهما- أداءات صوتية، مثل: الوقفات، والتنغيم، والنبر، والتزمين، والإيقاع. والآخر- أداءات غير صوتية، مثل: السياق، والحركة الجسمية المصاحبة للكلام.

وخلص البحث إلى أنه لا يمكن إدراك المعاني الحقيقية للكلام من خلال الألفاظ والتراكيب وحدها، وإنما هناك لغة جانبية أو أداءات وقرائن خارجية (سواء أكانت صوتية أم غير صوتية) تسهم في التوصل إلى إدراك المعاني والدلالات الحقيقية للكلام، كما تسهم في إيضاح معاني القرآن الكريم وإجادة تلاوته، وفي دراسة اللهجات المحلية، والأوزان الشعرية. كما توصل البحث إلى أن العلماء العرب أدركوا أهمية هذه الأداءات الخارجية (اللغة الجانبية)، وبيَّنوا أثرها في تحديد معنى الكلام.

Paralanguage And Its Effect On The Meaning

Dr. Hamdan R. Abu ASSI

Abstract: This study investigated Paralanguage which accompany speech to identify it's meaning as human linguistic behavior. Paralanguage is different from the inner language which results from the sound, grammatical structural and lexical connections of the word or structure. Paralanguage is divided into two parts: The first of which includes Pauses, Intonation, Stress-Accent, Tempo, and Rhythm, whereas the second part refers to the Context and Kinetics.

The research concluded that without paralanguage one cannot get the real meaning of speech through considering pronunciation and structure only. Moreover, paralanguage explains the meanings of holy Quran and helps to recite it. It also helps to study dialects and poetry. Finally, the research shows that Arab scientists considered paralanguage highly and explained its role in explaining meaning.

مقدمة:

يتناول هذا البحث الأداءات الخارجية - أو ما يمكن تسميته القرائن أو اللغة الجانبية (Paralanguage)- التي تصاحب الكلام المنطوق، وليست منه وتؤثر في معناه.

والجدير بالذكر أنَّ الأداءات الخارجية (اللغة الجانبية) تختلف عن الأداءات الداخلية النابعة من القرائن الصوتية، والصرفية، والتركيبية النحوية، والمعجمية، والبيانية للكلمة أو التركيب. وتنقسم هذه الأداءات الخارجية (اللغة الجانبية) قسمين، أولهما: الأداءات الصوتية، مثل: الوقفات، والتنغيم، والنبر، والتزمين، والإيقاع. والآخر: الأداءات غير الصوتية، مثل: السياق، والحركة الجسمية المصاحبة للكلام.

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على هذه الأداءات الخارجية المصاحبة للكلام بقسميها: الصوتية وغير الصوتية، وعلى ما تتركه من أثر في تحديد معنى الكلام وتغيير دلالته بوصفه سلوكاً لغوياً بشرياً. كما يهدف إلى تبيان دور هذه الأداءات في إيضاح معاني القرآن الكريم وإجادة تلاوته، ودورها في دراسة اللهجات المحلية، والأوزان الشعرية. بالإضافة إلى إبراز الإشارات الذكية التي وردت في مؤلفات علماء العربية حول هذه الأداءات ، والتي تدل على اهتمام هؤلاء العلماء بها وبدورها في تحديد المعاني الحقيقية للكلام.

وقد اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث قُسِّمت إلى: مقدمة، وتمهيد، موضوعين، وخاتمة.

تناولت المقدمة أهمية موضوع الدراسة، وأهداف البحث، ومنهجيته، بينما تطرق التمهيد إلى الحديث عن مفهوم اللغة الجانبية، وعن الفرق بين اللغة والكلام. أما الموضوع الأول من موضوعات البحث، فتناول الأداءات أو القرائن الصوتية المصاحبة للكلام وتؤثر في معناه، وقد اكتفى البحث بخمسة منها، هي: الوقفات (pauses)، والتنغيم (Intonation)، والنبر (Stress-Accent)، والتزمين (Tempo)، والإيقاع (Rhythm). وتناول الموضوع الآخر من البحث الأداءات غير الصوتية، وهي نوعان: النوع الأول السياق (Context)، والآخر الحركة الجسمية المصاحبة للكلام (Kinetics). أما الخاتمة فقد عرضت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

تمهيد:

يقصد بالأداءات المصاحبة للكلام - في هذه الدراسة- القرائن التي تصاحب الكلام المنطوق وتؤثر في معناه. وهناك من يطلق على هذه الأداءات اللغة الجانبية (Paralanguage)، أو اللغة المصاحبة للكلام وليست منه وتؤثر في معناه؛ ولذلك ارتأت هذه الدراسة أن يشمل التمهيد الحديث عن مفهوم هذه اللغة الجانبية، وعن الفرق بين اللغة والكلام؛ لأن الذي يهمَّنا في هذا البحث هو (الكلام) بوصفه نتاجاً فردياً (Parole)، وليس اللغة بوصفها نظاماً (Language).

لقد اختلف علماء اللغة في مفهوم اللغة الجانبية أو المصاحبة للكلام (Paralanguage) والسمات التي تختص بها، فمنهم من يرى أنها: "مصطلح يطلقه اللغويون على الجوانب الصوتية التي تصاحب الكلام، أي أنها ليست تلك الألفاظ التي ينطقها المتكلم، ولكنها حالة الصوت عند نطق الألفاظ ارتفاعاً أو انخفاضاً أو تنغيماً أو غير ذلك" [88/28].

ومنهم من يرى أنها تهتم باستخدام الظواهر غير الصوتية مثل تعبيرات الوجه، أو حركات الرأس أو العينين، والإشارة (بأعضاء الجسم) التي قد تفيد الموافقة، أو تضيف ظلالاً معينة من المعاني إلى ما يقوله الناس [21/25].

والقسم الثالث والأخير من هؤلاء العلماء يجمع بين المفهومين، ويرى أنها تطلق على الجوانب الصوتية، وعلى الجوانب غير الصوتية المصاحبة للكلام، أي أنهم يرون أنَّ اللغة الجانبية أو اللغة المصاحبة (Paralanguage) تشير إلى ذلك الجزء من الحدث الكلامي الذي لا يتسم بأنه تركيب لفظي لغوي، أي إلى المتغيرات مثل: الطرق الاجتماعية المميزة، والإشارات الجسمانية، وتعبيرات الوجه، وتغيرات الصوت، ... الخ [21/25].

وتُعَدُّ اللغة المصاحبة (عند من يرون أنها تقتصر على الجوانب الصوتية المصاحبة للكلام) من أهم الموضوعات التي لها علاقة وثيقة بالأداء الصوتي المصاحب للكلام؛ لكونها تتعلق بحالة الصوت اللغوي عند النطق بالجملة، فالجملة بوصفها كلاماً منطوقاً لا يتأتى معناها المقصود بالألفاظ والتراكيب اللغوية فحسب، بل هناك وسائل وأداءات صوتية وغير صوتية تشارك في تحديد هذا المعنى وتؤثر فيه، من بينها اللغة الجانبية.

ويذكر بعض الدارسين المعاصرين: أن اللغويين رصدوا موازين معينة لهذه اللغة الجانبية تؤثر في معنى الكلام، سواء بإضافة معنًى جديدٍ على المعنى الأصلي للألفاظ والتراكيب اللغوية، وأحياناً تؤدي عكس ما تؤديه الألفاظ المنطوقة نفسها. وقد تناول هذا البحث موازين أربعة للغة الجانبية نجملها في النقاط الآتية [28/89-92]:

أ- ميزان جهارة الصوت (Volume Scale):

ويقصد به الميزان الذي تتحدد به درجة ارتفاع الصوت، أو انخفاضه عند نطق معين، فلكل موقف كلامي درجة محددة من ارتفاع الصوت، أو انخفاضه متعارف عليها بين الناطقين باللغة المتحدث بها، فإذا ما تغيرت هذه الدرجة ارتفاعاً أو انخفاضاً عما ينبغي أن تكون عليه في موقف معين، أدرك المستمع أن شيئاً ما قد تغير، وقد يَفْهَم من ذلك معنى مغايراً للمعنى اللغوي. ويسمَّى هذا الميزان بـ(ميزان جهارة الصوت)، ويختلف من بيئة إلى أخرى، ومن شخص إلى آخر، فيجب مراعاة ذلك.

ب- ميزان طبقة الصوت (Pitch scale):

وهو التنغيم الصوتي الخاص المرافق للنطق، الذي يعطي اللفظة مدلولاً جديداً. فجملة (صباح الخير) مثلاً لها معانٍ عدَّة إذا قيلت بتنغيمات مختلفة، فقد تكون تحية، أو لوماً، أو تحقيراً، أو تعظيماً، أو محبة، أو استخفافاً، أو عدم اكتراث ...الخ.

جـ- ميزان الصوت المنفتح (Openness scale):

ويوجد هذا الميزان في ألوان معينة من الخطب التي يقدمها الدعاة الدينيون أو رجال السياسة حين يخطبون في الجماهير، بخاصة في الأماكن المفتوحة أو الساحات العامة. فنراهم يستعملون الكلمات والتراكيب والتعبيرات الرنانة التي تحمل أصواتاً لها أصداء جانبية حتى يتم التأثير المنشود. ونراهم أيضاً قد ملأوا أفواههم بالألفاظ الرنانة، فتخرج قوية واضحة بما يؤديه انفتاح الفم واتساعه.

د- ميزان البطء والسرعة (Drawling-Clipping scale):

لكل إنسان درجة معينة من السرعة في حديثه، فإذا اختلف هذا الميزان عما هو مألوف عنه في المجتمع، فإنَّ هذا يعني أن هناك شيئاً ما قد تغيَّر في الموقف. فمثلاً إذا نطقنا هذه الكلمات الآتية (فوراً، امشِ، لا) بسرعة غير عادية، فإنه يفهم من ذلك أنَّ المتحدث غضبان، أما إذا نطق بها ببطء، فيعتبر دليل السخرية، أو عدم الرضا، أو عدم التصديق... الخ.

والجدير بالذكر أنَّ لهذه اللغات المصاحبة للكلام دلالات عرفية شأنها شأن اللغة العادية، وقد تؤدي أحياناً عكس ما تؤديه الألفاظ المنطوقة نفسها [92/28]؛ ولذلك فإنَّ هذه اللغات تعتبر جزءاً من علم ما وراء اللغة (Metalinguistics) [21/25].

أما بالنسبة للفرق بين اللغة والكلام فلعل أول من فرَّق بينهما العالم اللغوي الشهير (دي سوسير)، الرائد الأول للمنهج البنيوي، ففي كتابه (فصول في علم اللغة العام) فرَّق بين مصطلحات ثلاثة، هي:

1- اللغة بمعناها العام (بوصفها ظاهرة اجتماعية).

2- اللغة المعينة (كالعربية مثلاً أو الإنجليزية).

3- الكلام (بوصفه نشاطاً عضلياً صوتياً فردياً).

فالكلام من وجهة نظر (دي سوسير) ما هو إلاّ وجه من أوجه النشاط الإنساني، أما اللغة فهي وعاء هذا النشاط وأداته. وبصورة أوضح: اللغة هي أنظمة من الرموز التي يستدعيها حدوث الكلام الفعلي، ويشترك في هذه العملية كل من المتكلم والمستمع، ويشترك فيها الأول بصورة إيجابية، بوصفه بادئاً، والثاني بصورة سلبية، بوصفه مستقبلاً. أما الكلام (أي القيام

بعملية التكلم) فيستدعي صور الكلمات والرموز الأخرى التي انطبعت في أذهان كل المتكلمين، ثم يتم ترجمتها إلى أصوات فعلية واضحة ذات معنى [38/27-39].

ومن العلماء الذين فرقوا بين اللغة والكلام أيضاً (ستيفن أولمان) الذي يرى أنَّ اللغة ثابتة مستقرة والكلام عابر سريع الزوال، وأن اللغة تُفْرَض علينا من الخارج في حين أنَّ الكلامَ نشاطٌ متعمد مقصود، كما أن اللغة اجتماعية والكلام فردي [32/9]. كما يرى (ستيفن أولمان) أن: "اللغة نظام من رموز صوتية مخزونة في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، بينما الكلام نشاط مترجم لهذه الرموز الموجودة بالقوة إلى رموز فعلية حقيقية" [33/9].

وفي هذا الإطار (التفريق بين اللغة والكلام) فقد فرّقت المدرسة التوليدية على يد مؤسسها (نعوم تشومسكي) بين ما أسماه (الكفاية اللغوية) Competence، أي اللغة، وما أسماه (الأداء) Performance، أي الكلام.

فمصطلح (الكفاية اللغوية) Competence (اللغة) في المنهج التشومسكي يشير إلى قدرة المتكلم أو المستمع المثالي على الجمع بين الأصوات اللغوية، ومعانيها الضمنية في تنسيق وثيق مع قواعد لغته، أو هو معرفة الإنسان الضمنية بقواعد لغته التي تقود عملية التكلم [4/44].

أما مصطلح (الأداء) Performance (الكلام) فهو يعني: "استعمال اللغة في مواقف حقيقية [4/44]. وبصورة أوضح هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وفيه يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية، التي تقود عملية التكلم [33/30].

وبعد التطورات التي أحدثها تشومسكي في نظريته في الثمانينيات، بخاصة في كتابه (المعرفة اللغوية)[77/15-90] الذي صدر عام 1986م استبدل بمصطلح الكفاية مصطلح (اللغة المبنية داخلياً) Internalized Language، ويرمز لها بـ I - Language، وبمصطلح الأداء مصطلح (اللغة المجسدة) Externalized Language، ويرمز لها بالرمز E-Language.

ويقصد تشومسكي بمصطلح (اللغة المبنية داخلياً) أنها فكرة ما عن البنية في عقل المتكلم توجهه في صوغ جمله وتراكيبه، أو هي عنصر من عناصر عقل الشخص الذي يعرف لغته، يكتسبه المتعلم ويستخدمه المتكلم أو المستمع المثالي، وهي كما يقول موضوع البحث في النظرية التوليدية والتحويلية [77/15-78، 80-82]. ومن الملاحظ -هنا- أن هذا التعريف قريب من تعريف (الكفاية اللغوية)، أو (اللغة) بوصفها نظاماً (Language). أما (اللغة المجسدة)- وهي المصطلح الآخر- فيعرفها تشومسكي بأنها: فكرة اللغة بوصفها مجموعة، أو نظاماً من الأحداث، أو صوراً من السلوك في حالة كونها مستقلة عن العقل. وهذا المفهوم قريب جداً من مفهوم

(الأداء) أو مفهوم (الكلام) بوصفه نتاجاً فردياً Parole، ويرى أن النحو الوصفي البنيوي اهتم بهذا النوع من اللغة، وأنه صاغ قواعده على أساس هذا المفهوم.

والجدير بالذكر أن الذي يهمّنا في هذا البحث هو (الكلام) بوصفه نتاجاً فردياً (Parole)، وليس اللغة بوصفها نظاماً (Language)؛ ولذلك سيتناول البحث (الكلام)، والأداءات (العناصر أو القرائن) المصاحبة له وليست منه وتسهم في تحديد معناه، ويطلق عليها أحياناً (اللغة المصاحبة للكلام، وليست منه).

وللكلام بوصفه أداء أو سلوكاً لغوياً بشرياً ضربان: "إنتاجي (Productive)، أو كما كان يسمِّيه القدماء أداء نشطاً أو فاعلاً (Active)، وهو حين ينتج الإنسان اللغة؛ أي حين يكون متكلماً أو كاتباً. وأداء استقبالي (Receptive)، أو ما كان يُسَمَّى أداء سلبياً (Passive)، وهو حين يستقبل الإنسان اللغة؛ أي حين يكون مستمعاً أو قارئاً، ويكاد الاهتمام العلمي الآن يتوجه إلى الإنتاج الاستقبالي للغة؛ لأنه يدل على وجود عمليات داخلية كثيرة" [162/28].

الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى:

هناك نوعان من الأداءات أو القرائن تقع عليهما مسئولية تحديد معنى الكلام وتؤثر في دلالته بوصفه سلوكاً لغوياً بشرياً، وهذان النوعان هما: الأول- الأداءات الداخلية، وهي القرائن النابعة من الكلمة أو من التركيب أو العبارة ذاتها، وتنقسم إلى: قرائن صوتية، وصرفية، وتركيبية نحوية، وبيانية، ومعجمية نابعة من دلالة الكلمة نفسها. والنوع الآخر من الأداءات التي تسهم في تحديد معنى الكلام ودلالته هو: الأداءات الخارجية (اللغة الجانبية)، ويقصد بها العناصر أو القرائن الخارجية التي تسهم في تحديد معناه وليست منه، ويطلق عليها (اللغات أو الظواهر المصاحبة للكلام، وليست منه). ويمكن تقسيم هذا النوع الأخير من الأداءات (العناصر أو القرائن) قسمين:

القسم الأول- ما يمكن أن نطلق عليه الأداءات أو القرائن الصوتية، مثل: الوقفات، والتنغيم، والنبر، والتزمين، والإيقاع. أما القسم الآخر من الأداءات الخارجية التي تسهم في تحديد معنى الكلام، وليست منه، فهو ما يمكن تسميته (الأداءات غير الصوتية)، مثل: السياق (Context)، الحركة الجسمية المصاحبة للكلام (Kinetics).

وسيقتصر هذا البحث على النوع الثاني من الأداءات أو القرائن، وهو الأداءات الخارجية المصاحبة للكلام وتسهم في تحديد معناه بقسميها الصوتية، وغير الصوتية.

أولاً- الأداءات الصوتية المصاحبة للكلام، وليست منه، وأثرها في معناه:

وتنقسم هذه الأداءات الصوتية المصاحبة للكلام، وليست منه أقساماً عدة، أهمها: الوقفات (pauses)، والتنغيم (Intonation)، والنبر (Stress-Accent)، والتزمين (Tempo)، والإيقاع (Rhythm). وفيما يأتي بيان لهذه الأقسام:

1- الوقفات (pauses):

وتُسمّى (الفواصل) وهي نوع من السكون يفصل بين مجموعة صوتية وأخرى، وتُسمَّى أيضاً وقفاً أو انتقالاً أو مفصلاً. وقد يُفْصَل بين صوت وآخر، أو بين كلمة وأخرى، أو بين عبارة وأخرى في الجملة الواحدة، أو بين جملة وأخرى، ويعتبر الفاصل فونيماً له تأثير في المعنى.

يتفق هذا المصطلح تماماً مع مبحث مهم تناوله علماء التجويد بالبحث والتفصيل هو (الوقف والابتداء)، إذ لم يغفل علماؤنا الأوائل دور هذا النوع من الأداء في تغيير معاني الكلام ودلالاته.

وتتلخص فوائد معرفة الوقف والابتداء عند علماء التجويد في أمرين [178/1]:

أحدهما : تحديد معاني آيات القرآن الكريم ودلالاتها.

والآخر: دلالة وقف القارئ وابتدائه على ثقافته بعلوم القرآن واللغة العربية.

ولعل فيما يأتي توضيحاً لأنواع الوقف والابتداء في بعض آي القرآن الكريم، ودورهما في تحديد معاني الآيات ودلالاتها [40/41-44]:

الوقف التام:

وهو في عرف علماء التجويد "الذي يحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده"، وأكثر ما يوجد في رؤوس الآي وعند انقضاء القصص.

وهذا يعني أن تعريف (الوقف التام) مقيد بالمعني، فإذا تم المعنى بالوقوف على كلمة وحَسُن الابتداء بما بعدها، كان وقفاً تاماً، فهو قيد دلالي بالدرجة الأولى ومن أمثلته: الوقف على لفظة (الظالمين) في قوله تعالى: ﴿ ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:145]، والابتداء بقوله:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ لكي لا يوهم أن (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ) صفة للظالمين، وهو مستأنف في مدح عبد اللّه بن سلام وأصحابه، ولو وُصِل الكلام لأوهم معنىً غير المعنى المراد، ولذا سماه بعض العلماء بالوقف اللازم أو الواجب.

ومن أمثلته أيضاً، الوقف على لفظة (أغنياء) من قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ [آل عمران:181]، والابتداء بقوله: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾؛ لأنه لو وصل الكلام لأوهم أن عبارة (سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ) من قولهم، وهي إخبار اللّه.

ومنه الوقف على (أولياء) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء﴾ [المائدة:51]، والابتداء بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾؛ لأن الوصل يوهم أن الجملة صفة لأولياء، فإذا انتفى هذا الوصف جاز اتخاذهم أولياء، وهو مُحال [185-182/17].

الوقف الكافي:

وهو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لفظاً بل معنىً، وهو كثير في الفواصل وغيرها وهو أيضاً الذي يجب الوقف عليه والابتداء بما بعده، ومن أمثلته: الوقف على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ [يوسف:24]، والابتداء بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وبهذا يتخلص القارئ من شيء لا يليق بنبي معصوم أن يهم بامرأة، ويصير (وهم بها) كلاماً مستأنفاً، إذ الهمّ من يوسف (عليه السلام) منفي، والهمّ الثاني غير الهمّ الأول. ومن ذلك أيضاً الوقف على (لاَ يُؤْمِنُونَ) من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:6]، والابتداء بما بعده [188-186/17].

الوقف الحسن:

وهو الوقف على كلمة تعلق ما بعدها بها أو بما قبلها لفظاً ومعنى، ولكن الابتداء بما بعدها لا يحسن لتعلقه بأمر قبله لفظاً. أو هو الوقف على ما تم معناه في ذاته وتعلق بما بعده لفظاً ومعنىً معا، وسمي حسناً: لأنه يحسن الوقف عليه لإفادته معنى يستقيم معه الكلام، كالوقف على (بسم الله)، وعلى (الحمد لله)، ولكن الابتداء بما بعدها لا يحسن لتعلقه بأمر قبله لفظاً إلا إذا كان ذلك رأس آية، فيجوز الوقف عليه في اختيار أكثر العلماء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [البقرة:219 و220]، فكلمة: (تتفكرون) رأس آية في سورة البقرة، ولكن لا يفيد ما بعدها معنى، فلا يحسن الابتداء به، ويحسن العود إلى ما قبله [189/17].

ومن الوقف الحسن أيضاً الوقف على (وتوقروه) من قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح:9]، والابتداء بـ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ لئلا يوهم اشتراك عود الضمائر على شيء واحد، فإن الضميرين الأولين عائدان على الرسول (صلى اللّه عليه وسلم)، وفي الثاني عائد على اللّه تعالى [217-211/34].

الوقف القبيح:

هو الوقف على ما لا يتم الكلام به ولا ينقطع عما بعده، كالوقوف على المبتدأ دون خبره، أو على الفعل دون فاعله، أو على الناصب دون منصوبة، وأقبح منه الوقف على ما يوهم وصفًا لا يليق بذات الله تعالى، كأن يقف على (يَسْتَحْيِي) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ

مَثَلاً﴾ [البقرة:26]، فلا يجوز الوقف إلا لضرورة، ثم يعيد الكلمة التي وقف عليها إذا لم تغير المعنى، وإلا أعاد ما يحسن البدء به [187/1-188].

الابتداء:

على القارئ كما أحسن الوقف أن يحسن الابتداء، فلا يبتدئ إلا بما يوضح المعنى، فكما كان هناك وقف قبيح كذلك هناك ابتداء قبيح، كأن يقرأ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:64]، فيبتدئ بـ﴿ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ .

وربما يعرض للقارئ عارض من سعال، أو ضيق نفس، أو غيره فيضطر للوقوف، فبإمكانه الوقوف على أية كلمة على أن يستأنف ويعيد، أو ربما يُخْتَبَر القارئ من قبل معلمه فيقف ثم يستأنف القراءة بعد إعادة الكلمة التي وقف عليها إن لم تكن مكاناً للوقف. ومن الخطأ الوقوف عند وسط الكلمة، فلا يقف إلا على آخرها. وعلى هذا يجب مراعاة رسم المصحف العثماني سواء وافق الخط المعروف أو خالفه، وذلك على النحو الآتي [220/17-228]:

أ- فما كان مقطوعاً من الكلمات في الرسم وقفنا على آخر المقطوع عند الاضطرار أو الاختبار، مثل (إنْ ما): وردت في القرآن الكريم مقطوعة في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وإن مَّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الَّذي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد:40]، فيجوز الوقف على (إن) أو على (ما) اضطراراً أو اختباراً (أي اختبار الطلاب وقت التسميع)، ومثلها: (عَن مَّا) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوا عَن مَّا نُهُوا عنه قُلْنَا لهم كونوا قردةً خاسئين﴾ [الأعراف:166]. ومثلها أيضاً (مِن مَّا) في قوله تعالى: ﴿هل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أيْمَانكم مِّن شُرَكَاءَ في ما رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الروم:28]، و(مِن مَّا) في قوله تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ المُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء:25].

ب- وما كان موصولاً كالكلمة الواحدة في الرسم وقفنا على آخر الموصول، مثل: (إمَّا) في نحو قوله تعالى: ﴿إمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال:58] فلا يجوز الوقف إلا على آخر الكلمتين معا لاتصالهما في الرسم العثماني. ومثل (عَمَّا) كما في قوله تعالى: ﴿فَتَعَالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:190]، ومن ذلك أيضاً (بِئْسَمَا) في نحو قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة:90].

جـ- وما كان ثابتاً من حروف المد في آخر الكلمة وأثبتناه، مثل (يَأَيُّهَا) في نحو قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:1] فيوقف عليها بالمد مراعاة للرسم، ومثل (وَقَالا) في قوله تعالى: ﴿وَقَالا الْحَمْدُ للهِ﴾ [النمل:15] فيوقف على ألف التثنية وإن حذفت لفظاً في درج الكلام، ومثلها (ذَاقَا) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَت لهما سَوْءَاتُهُمَا﴾ [الأعراف:22].

د- وما كان محذوفا حذفناه، مثل: (يَأَيُّهَ) في نحو قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ [الزخرف:49] فيقف عليها بالسكون مراعاة للرسم أيضا، ومثل: (يَأْتِ) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بِإِذْنِهِ﴾ [هود:105].

هـ- وتاء التأنيث إن كتبت بالتاء المربوطة وُقِفَ عليها بالهاء، مثل: (سكرة ، ربوة)، وإن كتبت بالتاء المفتوحة وُقِفَ عليها بالتاء، مثل: (رحمت ، نعمت ، لعنت).

2- التنغيم (Intonation):

الأصل في اللغة أن تكون منطوقة، فهي كما يقول ابن جنيّ: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [3- 34/1]، وما الكتابة إلا صدى ومحاولة لنقل المنطوق وتصويره؛ لذا ابتكرت اللغات من الوسائل ما يجعل المكتوب مقارباً للمنطوق؛ فاستعانت أحياناً بوضع علامات ورموز تساعد على توضيح المراد وبيان المطلوب، ومن ذلك علامات الترقيم.

التنغيم مصطلح لغوي يقابل في الإنجليزية لفظ (Intonation)، وهو يعني كما يقول الدكتور تمام حسان: "ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام" [198/19]. ويقول في موضع آخر: "إنَّ الكلام لا يجري على طبيعة صوتية واحدة، بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره، وذلك ما يعرف باسم التنغيم" [263/20]. وذهب إلى أنّ التنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسجَّل ولا مدروس، ومن ثمّ تخضع دراستنا إيّاه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد على العادات النّطقية في اللهجات العامية [228/22].

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللّغويّة) أنّ التنغيم هو (موسيقا الكلام)، حيث ذكر "أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها .... ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية" [124/8].

بينما يرى الدكتور أحمد مختار عمر، أنّ معظم أمثلة التنغيم في العربية ولهجاتها من النّوع غير التمييزي الّذي يعكس إمّا خاصّية لهجيّة، أو عادة نطقية للأفراد؛ ولذا فإنّ تقعيده أمر يكاد يكون مستحيلاً. ويفرّق في كتابه (دراسة الصوت اللّغوي) بين النّغمة والتنغيم، ويجعل الدّراسة المثلى للتنغيم، ويرى أنّ التنغيم هو الذي يغيّر الجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد، إلى انفعال، إلى تعجب في شكل الكلمات المكوّنة، ثم يمايز بين صفتين من اللغات النّغميّة، وغير النّغميّة بما تؤديه درجة الصّوت من دور في تميّز المعنى الأساسي للكلمة أو الجملة [310/39].

أما بالنسبة للدكتور رمضان عبد التّواب، فإنه يرى: إنّ القدماء أشاروا إلى بعض آثار التنغيم، ولم يعرفوا كنهه، غير أنّنا لا نعدم عند بعضهم الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام للدّلالة على المعاني المختلفة [106/36].

أثر التنغيم في تحديد معنى الكلام:

قبل الحديث عن أثر التنغيم في تحديد معنى الكلام يجب التأكيد أولاً أنَّ التنغيم يعدُّ من أكثر طرق الأداء اتساعاً وشمولية، وأنَّه يقتصر على التراكيب المسموعة دون المقروءة، وأنَّ له أثراً كبيراً في نفوس السامعين، ومتابعتهم، وحسن إصغائهم، وإزالة اللبس عن معنى الجملة، وإدراك الفرق بين المعاني المتعددة، وفهم المراد. ولا يتأتى ذلك إلا باتِّباع سنن أهل اللغة في النطق، والاهتمام بالجانب التطبيقي، والتعود على مجاراة الفصحاء. فالمتكلم قد يهدف بحديثه وتتابع نغمات كلامه العتابَ، أو الاستحثاثَ، أو لفتَ النظرِ، أو الامتعاضَ إلى غير ذلك من المعاني التي لا يمكن إدراكها إلا بمعرفة التنغيم.

وقد يؤدي الانحراف عن النطق (المتعارف عليه عند أصحاب اللغة) غالباً إلى اختلاف المعاني وتباين المقاصد. ناهيك عن عدم وضوح المعنى. فمعرفة طرق الأداء والنطق الصحيح، لا يقل في أهميته عن معرفة علم النحو؛ لذلك يمكننا القول إنَّ للتنغيم وظيفتين:

أولاهما: وظيفة أدائية بها يتم نطق الجملة في اللغة حسب نظم الأداء فيها، وحسب ما يقتضيه العرف عند أهلها من حيث الالتزام بطرق أدائها؛ لأنه لو لم يلتزم بها يصبح نطقه وكلامه غير واضحين وغريبين عند أهلها.

والأخرى: وظيفة دلالية، بها يتم معرفة المعاني المختلفة والدلالات الخفية للكلام، حيث إنَّ للتنغيم أثره في بيان هذه الدلالات والمعاني، وفي توضيح مقاصد الكلام. وفي ذلك يقول الدكتور تمام حسان: "وللنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثرية (Exclamatory) المختصرة نحو: (لا !)، و(نعم !)، و(يا سلام !)، و(الله !) الخ. لأن تقال بنغمات متعددة، ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام، والتوكيد، والإثبات لمعانٍ مثل: الحزن والفرح والشك، والتأنيب، والاعتراض، والتحقير، وهلم جرًّا، حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عن تباين هذه المعاني" [228/22].

وبالرغم من أن هاتين الوظيفتين مختلفتان، فإنه لا يمكن الفصل بينهما، فهما متلازمتان ومتكاملتان. ولعل ما يعنينا في هذا البحث هو الوظيفة الدلالية للتنغيم.

وقد قسَّم علماء اللغة اللغات من حيث التنغيم قسمين [192/39]:

أ- **لغات نغمية (Tone Languages)**: وهي اللغات التي يتمُّ فيها تحديد معنى الكلمة عن طريق النغمة (وليس التنغيم)، أي أنَّ اللفظة الواحدة تحتمل معاني عدّة ومختلفة، يتم التفريق بينها من خلال الاختلاف في درجة الصوت. ويظهر ذلك جلياً في اللغة الصينية، فاللفظة الواحدة تُنْطَق بنغمات مختلفة وبها يتحدد المعنى. يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "إن اختلاف درجة الصوت في هذه اللغات يساعد على تمييز كلمة من أخرى" [192/39].

ب - **لغات تنغيمية (Intonation Languages)**: وهي اللغات التي تتعدد دلالات الجملة فيها باختلاف التنغيمات التي تُنْطَقُ بها، وتمثلها اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية. فطرق الأداء التي يتم بها نطق الجملة في هذه اللغات له أثر كبير في المعاني المراد إبلاغها. يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "ونوع يسمى بالتنغيم وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة أو العبارة أو مجموعة الكلمات" [192/39]. هذا ما جعل اللغويين الإنجليز أتباع مدرسة (فيرث) يهتمون اهتماماً كبيراً بإرساء قواعد التنغيم.

وقد اهتم علماء العرب الأوائل بالتنغيم، وأدركوا أثره في توضيح الإعراب، وبيان المعنى المقصود من الكلام. لعل من أوضح الأمثلة على ذلك ما أورده ابن جني في كتابه (الخصائص)، عندما تعرض لقضية حذف الصفة في قولهم (سِيرَ عليه ليلٌ) يقول: "وقد حذفت الصفة، ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: "سِيرَ عليه ليلٌ"، وهم يريدون: ليلٌ طويلٌ. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لِمَا دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل، أو نحو ذلك" [3- 372/2، 373].

ومن ذلك أيضاً قوله: "وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: "كان واللهِ رجلاً !" فتزيد في قوة اللفظ بـ(اللهِ) هذه الكلمة، ولتمكِّن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك نقول: سألناه فوجدناه إنساناً ! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً ! وتزوي وجهك وتقطِّبه، فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً ...الخ" [3- 373/2].

ولعل من أوضح الأدلة على إدراك النحاة دور التنغيم في تحديد المعنى حديث بعضهم عن (الترنم) ، وهو ظاهرة تنغيمية تعني مد الصوت وإطالته. يقول سيبويه في كتابه: "اعلم أن المندوب مدعّو، ولكنّه متفجّع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأنّ الندبة، كأنهم

يترنّمون فيها" [32- 375/1]، ويقول ابن يعيش: "اعلم أن المندوب مدعو ..." ويقول: "ولما كان مدعواً بحيث لا يسمع أتوا في أوله بياء أو واو لمد الصوت، ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخراً للترنم" [6- 13/2].

إن هذا ليدل على إدراك النحاة أهمية التنغيم، فالواو خصصت للندبة لما فيها من التفجع والحزن، إذ "المراد رفع الصوت ومده لإسماع جميع الحاضرين" [6- 13/2].

ويرى السيوطي أن التنغيم حقيقة صوتية نطقية في تأويل المعنى، إذ يقول: حدّثنا المرزباني عن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب، قال: سأل اليزيديّ الكسائي بحضرة الرشيد، فقال: انظر أفي هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

ما رأينا خَرْباً نَفرُّ عَنْهُ البيضُ صُفْرُ
لا يكونُ العيرُ مُهْراً لا يكونُ المهرُ مهرُ

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي: انظر فيه، فقال: أقوى لابدّ أن ينصب (المهر) الثاني على أنه خبر لـ(يكون)، فضرب اليزيديّ بقلنسوته الأرض، وقال: أنا أبو محمد.. الشعر صواب، إنّما ابتدأ فقال: "المهرُ مهرُ" [33- 245/3]... لم يفطن الكسائي لما رآه اليزيديّ الذي استخدم شيئاً جديداً في تفسير البيت، وهو(الوقف)، أو التنغيم الذي جعل جملة (لا يكون) - التي ضغط عليها حين النّطق، وأخذت مطّا صوتياً- لا صلة بينها وبين ما بعدها، فهي توكيد لما قبلها من حديث.

إن هذه الإشارات التي ذكرها علماء العربية تدل على أنهم أدركوا دور التنغيم وأهميته في إيضاح المعاني. فالفرق بين كم الاستفهامية وكم الخبرية، إنما يتأتى بكون كل واحدة منهما تحتوي على أداء معين بها تتميز. والنحاة عند استنباطهم واستخراجهم قواعد اللغة اعتمدوا على سماع كلام العرب، ففرقوا بينهما على أساس ما تشتمل عليه من تنغيم. ومن ذلك ما نجده في صيغ التعجب وأساليبه القياسية والسماعية. فالنغمة التي في التعجب توحي بأن هنالك شيئاً خفياً حمل المتكلم على التعجب، وهو ضرب من الإيهام. والنغمة كذلك هي التي تفرق بين الإغراء والتحذير ففي قولك: (الرجلَ الرجلَ) فإذا كانت النغمة مرتفعة فإنها تحذرك من الرجل، وأما إذا نطقت بنغمة مستوية فإنها تدل على الإغراء.

أما بالنسبة لدور التنغيم في تحديد المعنى المقصود من وراء أسلوب الاستفهام فالأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، ومن ذلك قولك: (أنت طالبٌ)، إذِ النظرة الأولى إلى هذه الجملة المكتوبة توهم أنّها لا تكون إلا جملة خبرية إثباتية، ولكنّها قد تكون بالتنغيم جملة إنشائية استفهاميّة، وذلك بيّن وشائع في حديثنا اليومي. ومن أمثلته في العربية الفصحى، قول أحد الرّجّاز[14- 275/1]:

حتَّى إذا جَنَّ الظَّلامُ واختلط   جاؤوا بمِذْقٍ ! هلْ رأيتَ الذئبَ قط

فجملة، هل رأيت الذئب قطّ، خبرية تقريرية، تعنى جاؤوا بِمذْقٍ(^{1}) يشبه لون الذئب، وذلك لأنّ النّغمة الصّوتية تشير إلى معنى الإخبار، وليس إلى معنى الاستفهام.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم:1]، فجملة (تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) يمكن أن تكون استفهامية، وليس فيها أداة استفهام، وإنّما طريقة نطقها بصورة تناسب الأنماط التنغيمية للجمل الاستفهاميّة تدّل على أنّها كذلك.

ومن أمثلة الاستفهام الذي حذفت منه الأداة، واستعيض عنها بالتنغيم الخاصّ بهذا المعنى، في الحديث الشريف قول الرسول(صلى الله عليه وسلم): (يا أبا ذرّ عيّرته بأمّه...) أراد أعيّرته ...؟ [148/4].

أما بالنسبة لأهمية التنغيم وأثره في قراءة القرآن وتجويده، فإنَّ الإمام الزركشي يذكر في كتابة (البرهان في علوم القرآن) إنَّ الخطاب القرآني، يأتي على نحوٍ من أربعين وجهاً. كما نراه يشير صراحة إلى أهمية التنغيم في توضيح معاني الأساليب الواردة في القرآن فيقول غير مرّة في كتابه المذكور: "فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم" [29- 450/1].

يشير ما سبق إلى أن الزركشي يرى وجوب مواءمة التنغيم للمعنى المطلوب؛ مما يجعل المقروء مستقرّاً في ذهن السامع وقلبه. فاللين غير الشدّة، والأمر والنهي غير الدعاء، والالتماس والخبر غير الاستفهام، والوعد غير الوعيد؛ لذلك نرى اهتمام العلماء بطرق الأداء في قراءة القرآن الكريم. ولعلماء القراءات إسهامات متميزة في هذا المجال، فاللحون التي نسمعها من القرَّاء المجودين لقراءات القرآن الكريم هي التنغيم. فقراءة التحقيق هي "إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف، وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل واليسر والتؤدة" [2- 293/1]. والتجويد هو "الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ بريئة من الرداءة في النطق، ومعناه انتهاء الغاية في التصحيح وبلوغ النهاية في التحسين" [2- 299/1].

فإشباع الفتحة في آخر الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10]، وفي آخر قوله تعالى:﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴾ [الأحزاب:66]، وفي آخر قوله تعالى:﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ [الأحزاب:67]، نوع من التنغيم يؤدي إلى البيان والوضوح والتأكيد على تأصل الكفر. بل إن (هاء السكت) التي تلحق الكلمات المنتهية بياء المتكلم في

"كتابيه، حسابيه، سلطانيه" هي نوع من التنغيم الذي يشير إلى استراحة النفس؛ وذلك بالوقف على (هاء السكت)، ومن ثم يعدل عن الإعراب وبيانه.

وخلاصة القول في التنغيم ودوره في تحديد المعني المقصود من الكلام:

أ- إن التنغيم ركن أساس في الأداء اللغوي في معظم اللغات البشرية.

ب– للتنغيم وظيفتان رئيستان: أولاهما أدائية والأخرى دلالية.

جـ– لم يهمل علماء العربية التنغيم، بل كانت لهم إشارات ذكية تدل على تنبههم له، ولدوره في تفسير المعاني وتوضيح الإعراب.

د- يقتصر التنغيم على التراكيب المسموعة، أما التراكيب المقروءة فقد استعاضت عنه ببعض علامات الترقيم ورموزه؛ لتدل بها على الاستفهام والتعجب والاستغاثة والدهشة وغير ذلك.

هـ- إن للتنغيم أهميته في تحديد معاني الأساليب النحوية، مثل: الاستفهام والنداء والإغراء والتحذير التي تحمل في طياتها عند النطق بها تنغيمات مختلفة.

3- النبر (Stress-Accent):

النبر في عرف علماء اللغة المحدثين وضوحٌ نسبيٌّ (أو إبراز الصوت) يتميز به صوت، أو مقطع من بقية الأصوات أو المقاطع الأخرى التي تجاوره في البنية التركيبية، ويسخِّر المتكلم لتحقيق هذه الحالة جهداً عضلياً أعظم [194/19].

ويعدُّ (الضغط) الذي يصاحب عملية النّبر، عاملاً مساعداً من بين مجموعة عوامل أخرى، لكنّه يبقى الأقرب؛ لأن النّبر في حدّ ذاته يُعرف بدرجة الضّغط على الصّوت أكثر ممّا يُعرَف بأي شيء آخر، أو لأنّ الضّغط في صورتيه: صورة الضّغط وصورة النّغمة يتّسع مجال تطبيقه على النّبر أكثر ممّا يتّسع مجال العوامل الأخرى [194/19].

ويعتبر النبر أشيع في اللغات الغربية منه في العربية، بحيث يمكن أن يتغير معنى الكلمة في تلك اللغات بتغير موقع النبر فيها؛ ولذلك يهتم اللغويون بتحديده في قواميس تلك اللغات.

أما في العربية فإنَّ النبر لا يُغيِّر المعنى، لكنه قد يساعد السامع على الفهم [49/40]؛ لذلك يرى جلُّ الدّارسين المعاصرين أنّ العرب القدامى لم يهتمّوا بهذا النّوع من الدّراسة، وأنّ اللّغة العربية غير منبورة [73/12]. أما في العصر الحديث فقد زاد الاهتمام بظاهرة النبر في العربية من زاويتين:

الأولى: فيما يتعلق بدراسة اللهجات المحلية والمقارنة بين بعضها وبعض.

والأخرى: تتعلق بدراسة الأوزان الشعرية من جوانبها المتصلة بالكم أو النبر، والخلاف الذي نشب حول أهمية أي من هذين الجانبين وغلبته في العروض العربي.

وينقسم النبر من حيث موقعه في التشكيل الصوتي عند بعض الدارسين المعاصرين قسمين: أولهما- النبر الصرفي، وينقسم بدوره(بحسب قوة النطق ودرجة الدفع) إلى أولي وثانوي. والقسم الآخر- النبر الدلالي أو النبر السياقي، وهو من وظيفة المعنى العام، ويكون تأكيداً أو تقريرياً [19/ 195-197].

دور النبر وأهميته في تحديد المعني:

بالرغم من أنَّ النبر في العربية لا يؤثر غالباً في تحديد معاني الكلمات في الجمل، فإنَّ له دوراً لا يمكن إهماله في ذلك. ولعل من أبسط الأمثلة وأوضحها التي تبين طبيعة النبر وأهميته في تحديد المعاني أنَّ التقطيع العروضي لتركيب (مدرِّسُ العربية)، وتركيب (مدرسو العربية) من قولنا: (جاء مدرسُ العربية)، و(جاء مدرسو العربية)، هو تقطيع واحد، وهو (مُ درْ رِ سلْ عَ رَ بيْ يَ ةِ)، ولكن النبر هو الذي يفرق بين الجملتين، فإذا قلت لشخص (جاء مدرِّسو العربية) (دون استعمال النبر) فلن يعلم أنك تتحدث عن جمع من المدرسين، بل يظنك تتحدث عن مدرس واحد. وهنا يأتي النبر ليفرق بين الجملتين: فإذا أردت الجملة الأولى يجب أن يكون النبر على المقطع "در" (وربما يضعه البعض على المقطع "ر")، أما إذا أردت الجملة الثانية فيجب أن يكون النبر على المقطع (سُل)؛ ليدل على أن أصلها (سول)، ولكن حذفت الواو لمنع توالي الساكنين على الواو واللام، فتلفظ (سُلْ) في الجملة.

أهمية النبر عند علماء العروض:

قبل الحديث عن أهمية النبر في علم العروض يجب التأكيد أولاً أنه لا يمكن الاعتماد عليه في تحديد الأوزان الشعرية؛ لأنَّ هناك معايير أكثر فاعلية ودقة منه في تحديد الأوزان، ولأنَّ الأثر الملاحظ له في التفريق بين بعض الأوزان هو أثر جانبي.

ومن هذه الآثار الجانبية للنبر ما نجده في بعض الضروب، حيث يلاحظ انتقال النبر من مكانه المألوف على أحد مقاطع الكلمة إلى موضع آخر يستوجبه الوزن، كما في قول المتنبي من البحر البسيط [481/43]:

أَزُورُهُمْ وسَوادُ الليلِ يَشفَعُ لي وأنثني وبياضُ الصُبحِ يُغرِي بي

فمن أجل أن يستقيم الإيقاع في إنشاد هذا البيت، لا بد من نقل النبر في كلمة(يُغْرِي) من مقطعها الأول (يُغْ) إلى الثاني (رِي). وبذلك يمكن القول إن النبر هو نتيجة للسياق الإيقاعي المعين وليس سبباً فيه.

أهمية النبر في تلاوة القرآن الكريم([2]):

ينبه علماء التجويد والتلاوة على وجوب تعلم مقرئ القرآن الكريم أموراً أربعة:

الأول- كيفية نطق الحركات مثل: الفتحة والضمة والكسرة. والثاني- كيفية نطق الحروف من مخارجها الحقيقية، وبكامل صفاتها الحقة والمستحقة. والأمر الثالث- تعلم مقادير المد الطبيعي، ومقادير المنفصل، والمتصل، واللازم، وحركتي الغنة. أما الأمر الرابع والأخير فهو تعلم النبر، وهو ما يسميه بعض العلماء الضغط علي الحرف حتى تكمل حركته، ويتميز عما قبله وبعده بارتفاع الصوت. فقد ينطق القارئ الكلمة بتشكيل صحيح ومخارج وصفات سليمة، ثم يعطي معنًى مخالفاً للمراد، فمثلاً قوله تعالي: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:29]، فإذا قُرِئت كلمة "فَقَعُوا" على وزن كلمة "ذهبوا" مثلاً كان معناها من الفقع، وليس ذلك هو المعنى المراد، بل المعنى المراد هو "فَخِرُّوا" له ساجدين سجود تحية، أو "فَأَلْقُوا" له التحية بالسجود؛ ولكي يكون ذلك لا بد من تمييز حرف الفاء، والصبر علي_حركة القاف دون الإسراع، وهذا ما يعرف بـ(النبر) في تلاوة القرآن الكريم،

كما ينبه علماء التجويد والتلاوة على ضرورة الضغط (النبر) على بعض الحروف عند تلاوة القرآن الكريم، وهي:

أ- الوقف على المشدد، مثل كلمة "الحيّ "، و"بثّ ".

ب- عند النطق بواو مشددة قبلها مضموم أو مفتوح، مثل: "الْقُوَّة"، و "قَوَّامين".

ج- عند النطق بياء مشددة قبلها مكسور أو مفتوح، مثل: "شَرْقِيًّا"، "صَبِيًّا".

د- عند الانتقال من حرف مد إلى حرف مشدد، مثل: "الحاقَّة".

للنبر في تلاوة القرآن الكريم أمثلة عديدة [35/117-119]، منها قوله تعالي: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين:3] "(وَإِذَا كَالُوهُمْ) يعني: إذا باعوا من غيرهم ينقصون الكيل (أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) يعني: ينقصون الكيل، وقال بعضهم كالوهم حرفان يعني: كالوا ثم قال: هم، وكذلك وزنوا ثم قال: هم يخسرون، وذكر عن حمزة الزيات أنه قال هكذا ومعناه هم إذا كالوا أو وزنوا ينقصون._وكان الكسائي يجعلها حرفاً واحداً كالوهم أي: كالوا لهم وكذلك وزنوا لهم، وقال أبو عبيدة وهذه هي القراءة؛ لأنهم كتبوها في المصاحف بغير ألف، ولو كان مقطوعاً لكتبوا "كالوا هم" بالألف ولفظ "حرفين" في كلام أبي عبيد معناه كلمتين ذلك أن لفظ (هم) علي هذه القراءة مؤكد لضمير الفاعل، واللفظ التوكيدي كالزائد عن بناء الجملة؛ لأنه ينصب علي مفردة فيها لا علي مبناها كله، في حين أن المفعول هو من تمام بناء الجملة الفعلية في الفعل المتعدي لأن الكلام يتطلبه، ومن هنا عدُّوا قراءة (كالوهم) في حالة تنغيم (هم) مفعولاً كلمة واحدة، وفي

حالة تنغيمها توكيداً حرفين أي كلمتين وكذلك الأمر في (وزنوهم). والنبر هنا يتمثل في ضغط النطق بالضمير ضغطاً يشعر بتميزه عما قبله، ويرتفع به صوته عما قبله وبعده في كل من القراءتين، وكذلك الأمر في جعل الضمير (هم) في (هم يخسرون) مبتدأ وهذا الضمير يعد لغوياً كلمة ويعد صوتياً مقطعاً.

ومن أمثلة النبر في تلاوة القرآن الكريم أيضاً [35/117-119]، قوله تعالى: ﴿ فَسَقَى لهما﴾ [القصص:24] فلو قُرِئت بالإيقاع نفسه الذي تقرأ به "جعلا لهما" تصير كلمة "فَسَقَى" وكأنها من الفسوق، في حين أنها من "السَّقي"، وكذا لو نطق ﴿وَسَعَى لها﴾ [الإسراء:19] وكأنها من السعة والاتساع، في حين أنها من السعي الذي هو السير، .. وكذا "فَهَدَى" ليست من الفهد وإنما من الهدي، وتجنب مثل هذا يكون بنبر المقطع الثاني ــ أي الصبر علي الحرف الثاني وحركته ــ ولو قُرِئ مثل قوله تعالي:﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم:34] دون نبر "ما"، فتقترب الكلمة من كلمة "كلما " التي تفيد التكرار، وكذلك نطق ﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف:37] دون نبر "ما" يتغير المعني من استفهام موجه للكافرين عن شركائهم إلي ظرف مكان عام، أو اسم شرط وجزاء، وكلاهما غير مناسب، وكذا قوله تعالي: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ﴾ [لقمان:27] دون نبر "ما" يجعل "أنما" كأنها أداة قصر وهذا غير مراد في الآية.

أما بالنسبة لأمثلة النبر التي لا تؤثر في المعنى فمنها: نبر الحرف الثاني من (يَعِظُكُم - يَعِدُكُم) فهذا خطأ لا يجوز؛ لأنه يؤدي إلي اختلاس حركة الحرف الثاني وهذا خطأ لأن هذه الحركة كاملة وليست مختلسة، وكما يفعل بعضهم في (أفلا تعقلون) يسرع بحركة الفاء ليستفهم كما يظن فإن سألته لما هذا؟ قال للتفرقة بينها وبين (أَفَلَ) الفعل (سورة الأنعام) في حالة تثنيتها أي (أفلا) ويظن أنه يفرق بينهما، وهذا خطأ؛ لأن حركة الفاء كاملة وليست مختلسة وليست من الكلمات التي وردت مختلسة، ولكي يستفهم ينبر -أي يضغط- علي (لا) أو يلقي الكلمة التي بعدها -هنا (تعقلون)- بطريقة تشعر بالاستفهام.

وخلاصة القول: إنَّ النبر يدخل في ثلاثة أنواع من التراكيب في القرآن الكريم،هي[46/16]:

أ- التراكيب المكونة من ثلاثة مقاطع، ومن ذلك: (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) تنبر القاف، و(فَسَقَى لَهُمَا) تنبر السين، و(فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) تنبر النون، و(وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) تنبر القاف، و(وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) تنبر التاء (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) تنبر القاف (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ) تنبر الهمزة.

ب- التراكيب المكونة من حروف عطف أحادية تليها حروف جر أحادية داخلة علي ضمائر، مثل: (ولهم ــ فلهم ــ ولكم ــ فلكم ــ ألكم ــ فبما) ويكون النبر فيها علي حرف الجر -أي علي

المقطع الثاني أيضا- ومما يلحق بذلك ما يكون حرف الجر فيها بداية شبه جملة هي خبر مقدم لمبتدأ بعده، مثل: (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، بل إن أهمية إبراز كون حرف الجر بداية شبه جملة خبراً تجعل نبره مفيداً حتى لو لم يسبق بعاطف، مثل: (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ). وهذا النوع كثير في القرآن.

جـ- التراكيب المكونة من الحروف المقطعة، وهي عديدة منها: (إنَّ +ما ،أنَّ +ما)، و(كلّ +ما)، و(بئس +ما)، و(أين +ما)، ولهذا النوع من التراكيب قواعد كثيرة من حيث النبر وعدمه، يمكن الرجوع إليه في كتب التلاوة والتجويد.

4- التزمين (Tempo)(3):

يعرف علماء الأصوات التزمين بأنه السرعة التي يتخذها المتكلم ويحسها السامع نحو الكلام المنطوق، سواء أكان كلمة أم جملة، ويمكن وصف هذه السرعة بأنها بطيئة، أو سريعة، أو متوسطة. ويعتبر هذا النوع من الأداء الصوتي مرآةً تعكس عواطف المتكلم وانفعالاته؛ لذلك فهو عنصر مهم من عناصر الأداء الصوتي؛ لأنه يؤثر في تحديد معنى الكلام المسموع وفهمه، ويشعر المستمع بانفعالات المتكلم أو الحالة النفسية المصاحبة للنص.

وقد سبق أن أوضحنا في حديثنا عن "ميزان البطء والسرعة" ضمن موازين اللغة الجانبية أنَّ لكل إنسان درجة معينة من السرعة في حديثه، فإذا ما اختلف هذا الميزان عما هو مألوف عنه في المجتمع، فإنَّ هذا يعني أن هناك شيئاً ما قد تغيَّر في الموقف. ومثلنا لذلك بأنه إذا نطقنا بعض الكلمات مثل (فوراً، امشِ، لا) بسرعة غير عادية، فإنه يفهم من ذلك أنَّ المتحدث غضبان، أما إذا نطق بها ببطء، فيعتبر دليل السخرية، أو عدم الرضا، أو عدم التصديق... الخ.

ويمكن تحديد معدل النطق من حيث البطء والسرعة (قياس التزمين) من خلال تحديد الكم الزمني الفعلي الذي استغرقته الأصوات أو الكلمات المنطوقة، ثم تحديد عدد الأصوات الفعلية التي نطقت، ثم تُقَسَّم الأصوات المنطوقة على الزمن الكلي، فينتج معدل النطق، وذلك يُعرف عند علماء الأصوات بـ(قياس التزمين).

ويكشف لنا معدل النطق عن نوعية التزمين هل هو سريع، أو بطيء، أو سريع جداً، أو بطيء جداً، أو متوسط. ثم يأتي بعد ذلك دور الدراسة والربط بين نوعية التزمين والمعنى أو الدلالة.

التزمين في القرآن الكريم:

يقصد بالتزمين في القرآن الكريم: السرعة التي يُقْرَأ بها القرآن الكريم، وقد تناولها العلماء بالشرح والتفصيل، وهي ما بين التحقيق، والترتيل، والتدوير، والحدر[59/1-63].

ولعل من أوضح الأمثلة الواردة في القرآن الكريم التي توضح أهمية التزمين في إيصال إحساس المتكلم وانفعالاته، أو الحالة النفسية المصاحبة للنص للمستمع، وإفهامه المعنى المطلوب

قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَال يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاه مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:84]. فقد صورت لنا هذه الآية الكريمة الحالة النفسية للنبي يعقوب (عليه السلام) بعدما فقد ابنه يوسف أحب أبنائه إليه، كما صورت شدة حزنه وحسرته على فقده فلذة كبده، وقد تم التعبير عن ذلك كله بتزمين طويل، فكلمة (تولى) فيها مد طبيعي يستغرق زمناً مقداره حركتان كما يسميه علماء التجويد، وكذلك الفعل (قال)، ثم (يا أسَفَى) هذا المد المنفصل الذي يؤديه التالي للآية بنبرة طويلة توحي بهذه الحالة النفسية الأليمة، ثم كلمة (عيناه) بالمد الطبيعي، وأخيراً كلمة (كظيم) بالمد العارض للسكون، فنلاحظ أن سرعة المقطع كانت بطيئة، لتعبر عن المعنى المراد، بخلاف قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القمرُ ◙ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ◙ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر:1-3]. فإن تلاحق الآيات بسرعة، يوحي بخطورة الموقف وهو اقتراب الساعة، وياله من هول يستلزم السرعة.

5- الإيقاع اللغوي (Rhythm)(4):

لا يقتصر وجود الإيقاع في فن الرقص أو الموسيقا أو التصوير، بل هناك ما يعرف بالإيقاع اللغوي، وهو: التكرار المنتظم لمقاطع صوتية بارزة في اللغة المنطوقة من خلال تبادلها مع مقاطع أخرى أقل بروزاً، ويتحدد البروز بعوامل درجة الصوت (pitch)، وديناميكيته، ومدته.

ولعل هذا التعريف لـ(الإيقاع اللغوي) يوهم بتداخله مع تعريفات أنواع الأداء الصوتي السابقة مثل: النبر، والتزمين، والتنغيم، والوقفات، والحقيقة أن هناك فروقاً عديدة بين الإيقاع اللغوي وهذه الأداءات الصوتية أهمها:

أ- إنَّ الأداءات الصوتية (النبر، والتزمين، والتنغيم، والوقفات) لا يشترط فيها التكرار المنتظم لعنصر من عناصرها، أما الإيقاع فلابد فيه من التكرر المنتظم والدقيق لعنصر أو أكثر من عناصره.

ب- إنَّ الأداءات الصوتية تتصل في أغلبها بجانب المعنى والفكرة من حيث توضيحها، أما الإيقاع فإنه يتصل أكثر بجانب الإحساس والعاطفة. فهناك إيقاع يثير الحزن، وآخر يثير الفرح والسرور، وإيقاع يبعث الحماسة والحيوية أو الشهامة.

الإيقاع في الشعر:

لا ينفصل الشعر - في مفهومه العام- عن الموسيقا بمختلف أنواعها، وبخاصة: الوزن والقافية والإيقاع والتنغيم والإلقاء، فالتماثل الصوتي للتفعيلات العروضية يعدُّ أهم المؤثرات الصوتية في حدوث الإيقاع الموسيقي في النص الشعري، ويرجع هذا إلى أن الكمية الصوتية

للتفعيلة الواحدة تحتوي على أكثر من مقطع صوتي، وعندما تتماثل هذه التفعيلات يحدث تماثل صوتي لأكبر كم مقطعي في القصيدة؛ وبذلك يشكل الإيقاع الموسيقي بعداً جوهرياً في القصيدة من خلال تماثل هذه التفعيلات [11-عدد 1575/ 1-2].

وبعد أنَّ تخلت القصيدة الحداثية عن البحر العروضي، كان لابد للشاعر الحداثي من تعويض تلك النمطية الموسيقية بإيقاع بديل لها؛ لأن الحس الإيقاعي شرط مهم في الشعر العربي خاصة، ولذلك لجأ الشعراء الحداثيون إلى الإيقاع اللغوي، وإلى أنواع من الإيقاعات الأخرى: كالموسيقا الداخلية للشعر، وهي موسيقا لا تخص الشعر الحداثي وحده، بل هي ماثلة في كل شعر جيد، ولكن الشعر الحداثي يعتمد عليه أكثر من غيره، فإيقاعه نابع من قلب التجربة الفنية للقصيدة.

أما بالنسبة لأهمية الإيقاع في الشعر فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية [11- عدد 1575/ 3-4]:

* - إنه يشير إلى عدد من الدلالات السطحية والعميقة في القصيدة.

* - إنه قد يبدو صدى لمعنى القصيدة، أو يؤكده، أو يطرح معاني وتفسيرات وظلالاً له، كما يمكن استخدامه لإثارة المعنى وللإيحاء بالصراع داخل بنية القصيدة، فهو أداة للكشف داخل بنية القصيدة،

* - يُعَدُّ الإيقاع الموسيقي أقوى عناصر الجمال في الشعر، فالمتلقي غير العربي يطرب للشعر العربي في جرسه وإيقاعه؛ وهذا معناه أن الموسيقا (الإيقاع) عنصر جوهري في تشكيل النص الشعري، ويقوم بوظيفة جمالية مع غيره من عناصر تشكيل النص الشعري، ويسهم في خلق مسافة جمالية تجعلنا نتسامى بعيداً عن العالم النثري.

الإيقاع في القرآن الكريم(5):

استخدم القرآن الكريم الإيقاع المناسب لأجواء كل سورة من سوره، فهناك آيات كريمة تمتاز بالإيقاع السريع، وأخرى تمتاز بإيقاع بطيء وحزين، وهذا التنويع يتناسب مع معاني الآيات ومضامينها.

فمثلاً نجد الإيقاع الذي يطلق في جو الدعاء والضراعة والخشوع والإنابة كما في قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ [إبراهيم:38] إيقاعاً بطيئاً متموجاً رخياً، مناسباً لمضمون الآيات.

أما في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ◙ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 42-43]، فإنَّ الإيقاع

هنا مختلف عن الآيات السابقة، فهو طويل وعميق يشترك في رسم الهول لجو الطوفان والرعب، والمدات المتوالية تساعد في إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق.

ولا يخفى على أحد ما للإيقاع من دور مهم في رسم الجو الخاص الذي تهدف إليه كل آية، مما يزيدها وضوحاً وجلاء، كما يحقق جمال الأداء والإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، وبخاصة في قصار السور، فكأنها أحجام متساوية في كل شيء.

ثانياً- الأداءات غير الصوتية المصاحبة للكلام، وأثرها في تحديد المعنى:

وهي العناصر أو القرائن غير الصوتية الخارجية التي تصاحب الكلام، وتسهم في تحديد معناه، وتؤثر في دلالاته، وهذا ما يمكن تسميته (الأداءات غير الصوتية المصاحبة للكلام)، وهي نوعان: النوع الأول السياق، والآخر الحركة الجسمية المصاحبة للكلام.

1- السياق (Context):

بالرغم من أنَّ السياق يعدُّ من أكثر نظريات علم الدلالة (Semantics) تماسكاً وأضبطها منهجاً، فإنه يعتبر من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق [28/18]. ومع ذلك فإنَّ التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي كلاهما لا يتجاوز معنى (التتابع والتتالي، أو الإيراد).

ويرى بعض الدارسين العرب المحدثين أنَّ المقصود بالسياق التوالي، وأنه يمكن تقسيمه قسمين: الأول- ما يمكن تسميته سياق النص (Context of Text)، وهو توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك. والقسم الآخر يسمَّى سياق الموقف أو الحال (Context of Situation)، وهو توالى الأحداث التي تصاحب الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال [375/21].

أما السياق عند علماء اللغة الغربيين وعلى رأسهم (فيرث)، فإنه ينقسم إلى: سياق لغوي، وسياق غير لغوي (سياق الموقف، أو سياق الحال)، وقد أضاف إليهما أحد أتباعه وهو (جون ليونز) السياق الثقافي [141/10،69].

ويعدُّ النوع الأول من السياق -وهو اللغوي أو سياق النص- من الوسائل الفنية الحديثة ليس لتحديد المعاني الحقيقية للكلمات والجمل السابقة واللاحقة فحسب، وإنما للقطعة كلها أو للكتاب كله، فكل كلماتنا تقريباً تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظياً أم غير لفظي. فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تحدد الصور الأسلوبية للكلمة، كما تعدُّ ضرورية في تفسير المشترك اللفظي [9/66-67]. وبناء على ذلك، فإنَّ عناصر (السياق اللغوي) أو (سياق النص) المكونة للحدث اللغوي عندهم تتكون من:

أ- الوحدات الصوتية والصرفية والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك.

ب- طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب.

جـ- طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي، وظواهر هذا الأداء المصاحب المتمثلة في النبر والتنغيم والفاصلة الصوتية (أو الوقف).

أما القسم الآخر من السياق فهو السياق غير اللغوي أو سياق الحال (سياق الموقف)، الذي يمثل أهم نظرية من نظريات علم الدلالة في العصر الحديث؛ وتعرف بنظرية سياق الحال، وفيما يأتي عرض مجمل لها:

نظرية سياق الحال Context of Situation Theory:

تنسب هذه النظرية إلى الأستاذ (فيرث) (Firth) من مدرسة لندن اللغوية، وقد توصل إليها من خلال أبحاثه الحقلية في الأنثربولوجيا الاجتماعية، ثم قدّم شرحاً وافياً لها في بحثه عن "مشكلة المعنى في اللغات البدائية". والجدير بالذكر أن هذه النظرية ليست من ابتكار (فيرث)، وإنما ترجع بعض ملامحها إلى لغويي مدرسة لندن من القرن العشرين، وإلى أستاذه (مالينوفسكي) (Malinowski) [77-72/28].

ويمكن استخلاص رؤية "فيرث" في إطار نظريته السياقية من خلال النقاط الآتية [77/28، 97-82]:

أ- ينبغي أن ينظر إلى الكلام سواء أكان شفوياً، أم كتابة باعتباره يحدث في (سياق للحال أو للموقف) الذي يحدث فيه.

ب- إنَّ الحدث الكلامي (Speech Event) في (سياق الحال) إنما هو تجريد فني للمنطوق، وإنه يمكن تقسيمه إلى أجزاء فرعية. وإنَّ الأحداث الكلامية هي تعبيرات من نظام اللغة.

جـ- إنَّ الكلام يتكون من أحداث كلامية لا حصر لها، وهي تقع في سياقاتها الخاصة بها في كل موقف أو حدث.

د- إنَّ العلاقات الداخلية لسياقات الحال التي ركَّز عليها (فيرث) تتكون من:

*- الملامح الوثيقة بالمشتركين مثل: الأشخاص، والخصائص الذاتية المميزة للحدث الكلامي، أو غير الكلامي لهؤلاء المشتركين.

*- الأشياء ذات الصلة بالموضوع والتي تفيد في فهمه.

*- تأثيرات الحدث الكلامي.

وخلاصة القول: إنَّ (فيرث) كان يهدف من وراء نظريته إلى أغراض ثلاثة، هي [81/28]:

أ- معرفة الأساليب المختلفة للنطوق، وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة.

ب- وصف الاستعمال الفعلي لنطق معين في موقفه الخاص باعتباره شيئاً فريداً.

جـ- معرفة الوظائف الدلالية التي ترجع إلى التركيبات النحوية، وأنواع التنغيم.

وقد اهتمَّ اللغويون العرب المحدثون بنظرية (فيرث) السياقية وبخاصة في مؤلفاتهم اللغوية، ومن هؤلاء الدكتور تمام حسان [251/19]، والدكتور كمال بشر [64/13-66]، والدكتور محمود السعران [337/31-341]، والدكتور عبده الراجحي [72/28-82] ... وغيرهم.

أهمية السياق ودوره في تحديد المعنى:

لا يخفى على أحد ما للسياق من أهمية في تحديد المعنى المقصود من الكلمة، أو الجملة، أو الكلام. وقد أدرك العلماء العرب الأوائل هذه الأهمية، ولعل من أوضح الأدلة على ذلك مقولتهم المشهورة "لكل مقام مقال"، وتركيزهم على اللغة المنطوقة، وتعرّضهم للعلاقة بين المتكلم وما أراده من معنى، والمخاطب وما فهمه من الرسالة، وتركيزهم أيضاً على الأحوال المحيطة بالحدث الكلامي [82/28-84]. ومن ذلك ما أورده ابن هشام الأنصاري في الباب الخامس من كتابه "مغني اللبيب" بعنوان: "في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها"، ومن هذه الجهات: أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى [5- 684/2].

ويمكن إيجاز أهمية السياق في توضيح الدلالة اللغوية المقصودة للكلام في النقاط الآتية:

أ- لا معنى للكلمة خارج السياق الذي ترد فيه، فربما اتحد المدلول واختلف المعنى طبقاً للسياق الذي قيلت فيه العبارة، أو طبقاً لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه [36/37،33].

ب- للسياق دور مهم في التفريق بين معاني ظاهرة (المشترك اللفظي)، ومعاني ظاهرة (المختلف)، ومعاني ظاهرة (المترادف)، إذ لا يمكننا تحديد المعنى الدقيق لألفاظ هذه الظواهر إلا من خلال السياق. يقول سيبويه في أوّل كتابه تحت عنوان (هذا باب اللفظ للمعاني): "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين". وسترى ذلك إن شاء الله تعالى". فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، هو نحو: جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، قولك: وَجَدْتُ عليه من المَوْجِدة، ووجدت إذا أردت وِجدان الضّالة. وأشباه هذا كثير" [24/1-32].

جـ- قد يستعان بالسياق لإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، وردّ المفهوم الخاطئ.

د- يساعد السياق على تعيين دلالة بعض الصيغ الصرفية، ومن ذلك بعض الأبنية متحدة الوزن، مختلفة الدلالة على المعنى المراد، مثل أسماء الزمان والمكان التي تصاغ من الثلاثي على وزن (مَفعَل) بفتح العين، نحو (مذهَب، ومشرَب، ومخرَج، ومقتل، ومكتَب) - إلا في حالتين، فإنهما يكونان فيهما على وزن (مَفعِل) بكسر العين [104/38- 106]، فلا يمكن التفريق بين الزمان والمكان في كل ما سبق إلا بالسياق الذي يحدد المراد ويعيّن المقصود. ومن تلك الصيغ صيغة

النسب إلى ما آخره ياء مشدّدة، نحو كرسيّ، وزنجيّ، وشافعيّ، ففي هذه الحالة يتحد لفظ المنسوب وغير المنسوب، والذي يفرق بينهما إنما هو السياق.

هـ- لا يمكن إنكار ما لسياق النص اللغوي، وسياق الموقف الملابس للنص من تأثير على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير. كما لا ينكر ما للسياق من دور في تغير معنى الجملة ذات الصيغة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها، إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، وذلك يعود إلى اختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها [113/37].

و- اعتنى مفسرو القرآن الكريم بسياق الموقف أو ما يعُرف عندهم (بأسباب النزول)؛ لفهم معاني الآيات الكريمة على الوجه المطلوب. كما اعتمد علماء (أصول الفقه) على فكرة السياق في بيان المعنى في النصوص الشرعية، فلجأوا إلى قرائن السياق اللفظية والمقامية لتحديد دلالة النص [12/18].

ز- اعتمد النحاة الأوائل على السياق بشقيه (السياق اللغوي وسياق الحال) في التقعيد النحوي، ومن أمثلة اعتمادهم على السياق اللغوي في بيان مبنى التركيب ودلالته تجويزهم بهذا السياق حذف أحد عناصر الجملة، وطريقة ترتيب هذه العناصر اللغوية داخل التركيب(6).

ومن أمثلة اعتمادهم على سياق الحال استعانتهم بإرادة المتكلم والمخاطب في تعيين معنى التركيب، واهتمامهم بمضمون الرسالة وضرورة اختيار المفردات المناسبة لكل باب، واستعانتهم بملابسات الحال في التوجيه النحوي [32- 62،65/2، و223/4].

2- الحركة الجسمية المصاحبة للكلام (Kinematics)، ودورها في تحديد المعنى:

بالرغم من أن اللغة اللفظية هي الوسيلة الرئيسة في التواصل البشري، فإن اللغات البشرية في معظمها لا تخلو من آثار أو بقايا من لغة الحركة والإشارة، فهناك كثير من التعبيرات تشير إلى ممارسات الجسد في إظهار رغبة، أو إخفاء إخفاق، أو ما شابه، ومن ذلك قولهم: لم يرفّ له جفن، خبّأ وجهه، اليد الممدودة، حملق، غضّ الطرف.

ولذلك يشير كثير من المهتمين بلغة الحركة الجسمية أو لغة الإشارة إلى وجود صلة بين الكلام وتعابير الوجه، حتى قيل إن شخصاً مدرباً تدريباً جيّداً على فكّ شفرات الإشارات الجسمية يمكنه أن يعرف الكلام من مجرد رؤية حركات الشفاه والجسد.

وقد ظهر في السنوات الأخيرة علم يهتم بهذا المجال، ينسب إلى العالم الأنثروبولوجي (ري بيردوسل) Ray L. Birdwhistell، وأطلق عليه مصطلح (Kinematics) أو مصطلح (Kinetics). وهو علم يدرس الحركات الجسمية المصاحبة للكلام، أو تسد مسده ولها معنى

معين لدى جماعة لغوية معينة، وتتخذ هذه الحركات أشكالاً مختلفة، وتتم أحياناً باليد أو بالرأس أو بالعين أو بالجسم الإنساني كله، وتتوزع عادة حسب المواقف المختلفة [109/42]. ويستخدم هذا العلم وحدة تحليلية تسمى (الكينيم، Kineme) وتدل على الحركة المجردة من حركات الجسم، ويستعين هذا العلم بالرسم أو التصوير لتحديد الحركات المصاحبة للكلام. ويؤكد هذا العلم أن الحركة الجسمية ليست حركات فسيولوجية، ولكنها نظام اجتماعي شأنه شأن اللغة تؤخذ بالاكتساب، وتدرس في إطار المجتمع؛ ولذلك فقد اتجه علماء الحركة الجسمية إلى تطبيق مناهج اللغويين في البحث [28/99-105].

وتنقسم الحركات الجسمية البشرية إلى: فطرية، ووراثية، ومكتسبة. فالفطرية هي التي تولد مع الإنسان ولا خيار له فيها، ومن ذلك مثلاً الضحك، فهو مسألة فطرية، حيث إنَّ الناس جميعاً (ومنهم الأعمى) يضحكون منذ طفولتهم، مما يعنى أنَّ الضحك فطري وليس موروثاً أو مكتسباً. ومن ذلك أيضاً أنَّ الرجل يبدأ، في أغلب الأحيان، بإدخال يده اليمنى في كمّ القميص، أما المرأة فتبدأ، في أغلب الأحيان، باليد اليسرى، وذلك يعود إلى أنَّ المرأة تستخدم النصف الأيمن من الدماغ والرجل النصف الأيسر.

أما الحركات الجسمية الموروثة، فهي التي ورثها الإنسان من عهود سابقة، أو من والديه. ومن هذه الحركات حركة الرأس للتعبير عن الرفض، فما هي إلا امتداد لحركة الطفل الرضيع حين يشبع، أو لحركة الطفل الصغير الذي يلجأ إليها حتى لا يسمح للملعقة بالدخول إلى فمه، وهذه الحركة تطورت بحيث أصبحت للدلالة على الرفض العام.

أما القسم الثالث والأخير من الحركات الجسمية، فهو الحركات المكتسبة، وهي التي يكتسبها الإنسان من بيئته أو مجتمعه. ويشمل هذا القسم معظم الحركات الجسمية البشرية، ومن ذلك تعابير الوجه فهي ليست كلها عالمية ذات دلالات ثابتة، فمنها ما يتغير بتغير الحضارات، ومنها ما يتغير بتغير البيئة أو المجتمع، ومنها ما يتغير بتغير السياق الاجتماعي للحدث.

وقد ترجم الدكتور أحمد شفيق الخطيب مقالاً للكاتب (ستيلا ألنيكوفا) نشره في جريدة الرياض السعودية بعنوان (لغة الإشارة)، أورد فيه كثيراً من المعلومات القيمة حول عادات الشعوب في استخدام الحركة الجسمية، أو ما أسماه لغة الإشارة. ففي حديثه عن عدد الحركات التي يمكن أن يستخدمها أفراد بعض المجتمعات خلال محادثة تستغرق ساعة واحدة يقول كاتب المقال: "خلال رحلة عالم النفس الإنجليزي (مايكل أركيل) حول العالم، توصل إلى أنه خلال محادثة تستغرق ساعة فإن الفنلندي سوف يستخدم الإشارات مرة واحدة، والإيطالي (80) مرة، والفرنسي (120) مرة، والمكسيكي (180) مرة. وربما كان الروس متحفظين نسبياً في إظهار

مشاعرهم، معتقدين أن التلويح الشديد باليدين إنما هو علامة من علامات سوء التربية. وبينما تحظر آدابُ السلوكِ الإشارةَ إلى شيء ومن باب أولى إلى شخص، فإن الإسباني أو الأمريكي اللاتيني سوف يشير وهو يتحدث إلى كل ما يحيط به، مستخدماً يديه ورأسه وكل أنماط تعبيرات الوجه، حتى ينقل ما يعنيه. ويصبح كلامه الصوتي وإشاراته كلاً لا يتجزأ" [7-عدد 9754 /9].

وعن الطرق المتباينة في استخدام الحركة الجسمية أو الإشارة لتمثيل مفهوم أو معنى معين بين الشعوب المختلفة يقول كاتب المقال: "ولا يمكن للعلماء دائما أن يفسروا لماذا يتم تمثيل مفهوم معين بطرق متباينة بين الشعوب المختلفة. ولنأخذ على سبيل المثال شعور البهجة والإعجاب. فمن الحقائق المسلم بها الآن أن الروس واليابانيين يعيشون على مسافة قصيرة نسبياً من بعضهم البعض، ولكن عندما يمرر الروسي يده عبر حلقومه فإنه يقصد أنه متخم بالطعام، بينما إذا استخدم الياباني الإشارة نفسها فإنها تعني الفصل من الوظيفة. وفي (التبت) فإن عابر السبيل سوف يخرج لسانه لكل من يقابله؛ وذلك ليظهر له أنه ليست لديه أية نوايا سيئة. وفي بلاد أخرى فإن مثل هذا التعبير قد يؤدي إلى المتاعب"([7]).

ويستطرد كاتب المقال في الحديث عن اختلاف الشعوب في استخدام الإشارات الجسمية، وعن الاختلاف في مدلولاتها، فيقول: "وللتعبير عن التحذير أو جذب الانتباه فإن الإيطالي أو الإسباني أو الأمريكي اللاتيني يخفض جفن عينه الأسفل مستخدماً السبابة، في حين أن إشارة مشابهة في النمسا تعبر عن الاحتقار. واليابانيون، بخلاف الأوروبيين، يصفقون عن طريق مد أيديهم إلى الأمام حتى تتلامس أصابعهم. أما في بريطانيا فإن التصفيق البطيء باليد في حفل موسيقا أو في المسرح يكون تعبيراً عن الاستياء الشديد، ويكون بمثابة دعوة للمؤدي لكي يترك خشبة المسرح. وفي (الأرجنتين أو أوروجواي أو فنزويلا)، فإن هز اليد إلى أسفل يعني "حسناً، حسناً!". أما في (بيرو) فإن الإشارة نفسها تعني "آه، وياله من خطأ ذلك الذي ارتكبته!" وفي (شيلي) تعني "هل تصدق هذا ؟" [7-عدد 9754 /9].

والجدير بالذكر أنَّ الحركة الجسمية ليست مسألة عضوية يستخدمها الإنسان كيفما اتفق، وإنما هي (نظام) يتعلمها الإنسان داخل المجتمع، ولها أنماطها الخاصة بالثقافة. ويضاف إلى ذلك "أنَّ هناك اختلافات كبيرة بين المجتمعات في استخدام الحركة الجسمية؛ فاللبنانيون والسوريون والفلسطينيون مثلاً يحركون رؤوسهم إلى أعلى دلالة على الرفض، ويحركون حواجبهم إلى أعلى دلالة على الرفض أيضاً، على حين يفيد تحريك الحواجب عند المصريين دلالات أخرى. وكذلك نرى اختلافات كبيرة بين الشعوب في استخدام الرأس وأجزاء الوجه والكتفين والأيدي والأصابع والأرجل وغيرها من أعضاء الجسم" [95/28].

ويمكن تلخيص الحديث عن الحركة الجسمية المصاحبة للكلام، ودورها في تحديد المعنى في النقاط الآتية:

* - تعتبر الحركة الجسمية من أهم العوامل التي تساعد الألفاظ المنطوقة في توصيل المعنى المقصود للكلام، وأحياناً تعطي الحركة الجسمية معاني مناقضة للألفاظ نفسها.

* - يطلق مصطلح (Kinematics) أو (Kinetics) على العلم الذي يدرس الحركات الجسمية المصاحبة للكلام، أو تسد مسده ولها معنى معين لدى جماعة لغوية معينة.

* - إنَّ الحركات الجسمية تتخذ أشكالاً مختلفة، وتتم أحياناً باليد أو بالرأس أو العين أو بالجسم الإنساني كله، وتتوزع عادة حسب المواقف المختلفة.

* - إنَّ الحركات الجسمية (بكافة أنواعها) ليست مسألة عضوية يستخدمها الإنسان كيفما اتفق، وإنما هي "نظام" -مثل النظام اللغوي- يتعلمه الإنسان داخل المجتمع، وله أنماطه الخاصة بالثقافة؛ لذلك نرى العلماء الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهرة اتجهوا مباشرة إلى تطبيق منهج اللغويين في البحث والدراسة.

* - إنَّ هناك تبايناً كبيراً بين المجتمعات في استخدام الحركة الجسمية، وفي مفاهيمها التي تدل عليها. فلكل مجتمع حركاته الجسمية الخاصة به، ومفاهيمها التي تختلف من مجتمع إلى آخر.

الخاتمة

تناول البحث الأداءات أو القرائن (اللغة الجانبية) التي تصاحب الكلام المنطوق، وليست منه وتأثر في معناه. وقد تمَّ التمهيد لذلك بالحديث عن مفهوم اللغة الجانبية، وعن الفرق بين اللغة والكلام.

وقد تناول البحث بصورة أساسية قسمين من هذه الأداءات الخارجية المصاحبة للكلام (اللغة الجانبية)، وبين أثرهما في تحديد معناه وتغيير دلالته بوصفه سلوكاً لغوياً بشرياً. وهذان القسمان هما: القسم الأول- الأداءات أو القرائن الصوتية، وقد اكتفى البحث بخمسة منها، هي: الوقفات (pauses)، والتنغيم (Intonation)، والنبر (Stress-Accent)، والتزمين (Tempo)، والإيقاع (Rhythm). أما القسم الآخر من الأداءات الخارجية فهو الأداءات غير الصوتية، وهو بدوره نوعان: النوع الأول السياق (Context)، والآخر الحركة الجسمية المصاحبة للكلام (Kinematics).

وقد توصل البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

1- التأكيد أنَّ هناك فروقاً كثيرة بين (الكلام) بوصفه نتاجاً فردياً (Parole)، و(اللغة) (Language) بوصفها نظاماً.

2- إنَّ هناك أداءات خارجية (صوتية وغير صوتية) تصاحب الكلام وتسهم في تحديد معناه وتؤثر في دلالته بوصفه سلوكاً لغوياً بشرياً، وهي غير الأداءات الداخلية النابعة من القرائن الصوتية، والصرفية، والتركيبية النحوية، والمعجمية، والبيانية للكلمة أو التركيب. وإنَّ لهذه الأداءات الخارجية (اللغة الجانبية) المصاحبة للكلام دلالات عرفية شأنها شأن اللغة العادية، وقد تؤدي أحياناً عكس ما تؤديه الألفاظ المنطوقة نفسها؛ ولذلك فإنَّ هذه الأداءات أو اللغات تعتبر جزءاً من علم ما وراء اللغة (Metalinguistics).

3- إنَّ للأداءات الصوتية المصاحبة للكلام وليست منه، مثل: الوقفات، والتنغيم، والنبر، والتزمين، والإيقاع دوراً هاماً في توضيح معاني الكلام ودلالاته، وبالخصوص في إيضاح معاني القرآن الكريم كما هو الشأن في الوقف والابتداء (الوقفات)، وفي التنغيم. أما بالنسبة للنبر والتزمين فإنَّ لهما أهمية واضحة في تلاوة القرآن الكريم، وقراءته ما بين التحقيق، والترتيل، والتدوير، والحدر، وفي دراسة الأوزان الشعرية واللهجات المحلية. كما لا ينكر ما للإيقاع اللغوي بمؤثراته الصوتية من دور مهم في حدوث موسيقا النص الشعري، وفي تحقيق جمال الأداء والإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، وبخاصة في قصار السور، التي تبدو كأنها أحجام متساوية في كل شيء.

4- هناك نوعان من الأداءات غير الصوتية التي تصاحب الكلام وتؤثر في معناه. أولهما: السياق بنوعيه (اللغوي والحال)، إذ لا معنى للكلمة خارج السياق الذي ترد فيه. كما يعود إليه الأمر في التفريق بين المعاني في كثير من الظواهر اللغوية، وكذلك يستعان به لإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، وردّ المفهوم الخاطئ، وتعيين دلالة بعض الصيغ الصرفية متحدة الوزن، مختلفة الدلالة على المعنى المراد. كما لا ينكر ما للسياق من دور في التقعيد النحوي، وفي تغير معنى الجملة ذات الصيغة التركيبية الواحدة.

والنوع الآخر من الأداءات غير الصوتية هو الحركة الجسمية وما لها من دور في توصيل المعنى المقصود للكلام، إذ تعطي أحياناً معاني مناقضة للألفاظ نفسها. والجدير بالذكر أنَّ الحركات الجسمية تعتبر بمثابة "نظام" -مثل النظام اللغوي- يتعلمه الإنسان داخل المجتمع، وإنَّ هناك تبايناً كبيراً بين المجتمعات في استخدام الحركة الجسمية، وفي مفاهيمها التي تدل عليها.

5- أدرك العلماء العرب الأوائل ما للأداءات الصوتية بكافة أقسامها من دور مهم، وبخاصة الوقفات والتنغيم، وتنبهوا لما لهما من دور في تفسير المعاني وتوضيح الإعراب. بالإضافة إلى أن هناك إشارات ذكية وردت في مؤلفات هؤلاء العلماء تدل على أنَّهم أدركوا أهمية النبر، والتزمين، والإيقاع في توضيح معاني الكلام ودلالاته. كما أدرك هؤلاء العلماء دور الأداءات غير الصوتية، حيث اعتنى مفسرو القرآن الكريم بسياق الموقف لفهم معاني الآيات الكريمة على الوجه المطلوب، كما لجأ علماء "أصول الفقه" إلى قرائن السياق اللفظية والمقامية لتحديد دلالة النص المطلوب.

6- يوصي البحث بأن تهتم العلوم اللغوية بدراسة الأداءات الخارجية المصاحبة للكلام (اللغة الجانبية) بقدر الاهتمام بدراسة الأداءات الداخلية النابعة من القرائن الصوتية، والصرفية، والتركيبية النحوية، والمعجمية، والبيانية للكلمة أو التركيب؛ إذ لا يمكننا إدراك المعاني الحقيقية للكلام من خلال الألفاظ والتراكيب وحدها، بل هناك أداءات وقرائن خارجية (سواء أكانت صوتية أم غير صوتية) بما تضفيه من ظلال أو دلالات تسهم في التوصل للمعاني والدلالات الحقيقية للكلام.

حواشي البحث:

---

[1] - مِذْق: اللبن المزوج بالماء.

[2] - لمزيد من التفاصيل حول أهمية النبر في القرآن الكريم ينظر المراجع والمصادر الآتية: [36/23-39]، و [42/16-49]، و [35- عدد 117/581-119].

[3] - لمزيد من التفاصيل ينظر المصادر والمراجع الآتية: [59/1-63]، و [181/24-185].

[4] - لمزيد من التفاصيل حول الإيقاع اللغوي ينظر: [92/24]، و [84/26-86].

[5] - ينظر في ذلك: [166/24-172].

[6] - ينظر أمثلة لذلك في: [32- 1/ 66، و232/1، و282/1، و3/ 102].

[7] - التبت: منطقة في آسيا الوسطى، تُعَدُّ عادة جزءاً من الصين، وتقع وسط جبال الهيمالايا وغيرها من السلاسل الجبلية (المترجم). ينظر: [7-عدد 9754 /9] .

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر والمراجع العربية:

1- ابن الجزري؛ شمس الدين أبي الخير محمد (1997): **التمهيد في علم التجويد**، تحقيق غانم قدوري الحمد، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 178، 187-188، 59-63.

2- ابن الجزري؛ محمد بن محمد علي بن يوسف(بدون): **النشر في القراءات العشر**، الطبعة الأولى، قدم له وحقق نصوصه وعلق عليها محمد سالم محيسن، مكتبة القاهرة، مصر، ص: 293/1، 299.

3- ابن جني؛ أبو الفتح عثمان (1990) : **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الرابعة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص: 34/1، 372/2-373.

4- ابن مالك؛ (1413هـ) : **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، الطبعة الثانية، تحقيق طه محسن، ص148.

5- ابن هشام الأنصاري؛ جمال الدين (1972): **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ص: 684/2. 684.

6- ابن يعيش النحوي؛ موفق الدين (بدون): **شرح المفصل**، بيروت، عالم الكتب، ص: 13/2.

7- ألنيكوفا؛ ستيلا (1995) : ***لغة الإشارة***، ترجمة أحمد شفيق الخطيب، جريدة الرياض، الخميس 8 شوال 1415هـ- 9 مارس 1995م – العدد 9754، ص: 9.

8- أنيس؛ إبراهيم (1961): **الأصوات اللغوية**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ص: 124.

9- أولمان؛ ستيفن (1986) : **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال بشر، الطبعة العاشرة، مكتبة الشباب، مصر، ص: 32، 66-67.

10- بالمر؛ ف. ر (1995) : **علم الدلالة- إطار جديد**، ترجمة الدكتور صبري إبراهيم السيد، طبعة سنة 1995م، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، مصر، ص: 141،69، 77.

11- بدر؛ عادل (2006) : **سيميائية الإيقاع**، في "الحوار المتمدن"، العدد: 1575 بتاريخ 2006/6/8م، ص:1-2، 3-4 على الموقع الإلكتروني:
http://www. rezgar.com/debat/show.art.asp

12- برجشتراسر، (1982) : **التطوّر النّحوي للّغة العربية**، إخراج وتصحيح رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة ودار الرفاعي، الرّياض، ص: 73.

13- بشر؛ كمال (1969): **دراسات في علم اللغة**، طبعة دار المعارف بمصر، ص: 64–66.

14- البغدادي؛ عبد القادر (1299هـ) : **خزانة الأدب**، مطبعة بولاق، مصر، ص: 1/ 275.

15- تشومسكي؛ نعوم (1993): **المعرفة اللغوية (طبيعتها، وأصولها، واستخدامها)**، ترجمة محمد فتيح، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص: 77-90، 77- 78، 80-82.

16- جبل؛ محمد حسن (بدون) : **تحقيقات في التلقي والأداء**، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 42-49، 46.

17- الجريسي؛ محمد مكي نصر (بدون) : **نهاية القول المفيد في علم التجويد**، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ص: 182-185، 186-188، 189، 220-228.

18- حبلص؛ محمد يوسف (1991) : **البحث الدلالي عند الأصوليين**، الطبعة الأولى، مكتبة عالم الكتب، بيروت، ص: 28، 12.

19- حسان؛ تمام (1986) : **مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص: 198، 194، 195-197، 251.

20- حسان؛ تمام (1993): **البيان في روائع القرآن**، القاهرة، عالم الكتب، ص: 263.

21- حسان؛ تمام (1993) : ***قرينة السياق***، بحث قُدِّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية ، دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، 375.

22- حسان؛ تمام (1994): **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص: 228.

23- الحمد؛ غانم قدوري (2003) : **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ، طبعة دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص: 36-39.

24- الخالدي؛ صلاح عبد الفتاح (1983) : **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**، الطبعة الأولى 1983م، مطبعة حطين، عمان، الأردن، ص: 181-185، 92، 166-172.

25- الخطيب؛ أحمد شفيق : **علم اللغة وفروعه**، في موقع: منتديات "واتا الحضارية"، الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، ص: 21. على الموقع الإلكتروني:
http://www.Arabswata.org/forums/archif/index.php/t-1240.html

26- الخليل؛ عبد القادر مرعي (2002) : **التشكيل الصوتي في اللغة العربية**- بحوث ودراسات، الطبعة الأولى (2002)، مكتبة النهضة، عمان، الأردن، ص: 84-86.

27- دي سوسير؛ فرديناند (1985): **فصول في علم اللغة العام**، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص:38-39.

28- الراجحي؛ عبده (1997) : **فصول في علم اللغة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص: 88، 92-98، 72،77-162، 82-97، 81، 82-84، 94، 99-105، 72-82.

29- الزركشي؛ بدر الدين محمد بن عبد الله (1975) : **البرهان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، تحقيق محمد أبي الفضل، دار إحياء الكتب العربية، منشورات عيسى البابي الحلبي، مصر، ص: 450/1.

30- زكريا؛ ميشال (1982): **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ص: 33.

31- السعران؛ محمود (بدون) : **علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي"**، طبعة دار الفكر العربي، ص: 337–341.

32- سيبويه؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1998): **كتاب سيبويه**، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص: 375/1، 24/1. والطبعة الثالثة، 1988م، تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي – القاهرة، ص: 1/ 66، و232/1، و282/1، و102/3، 65/2،62 و223/4.

33- السيوطي؛ جلال الدين (1986) : **الأشباه والنظائر**، تحقيق إبراهيم محمد عبد الله، منشورات مجمع اللغة العربية، ص: 245/3.

34- صالح؛ عبد الكريم إبراهيم عوض (2006) : **الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص: 211-217.

35- الطناحي؛ محمود : ***مستقبل الثقافة العربية***، كتاب الهلال، القاهرة، العدد581، ص117، 118، 119.

36- عبد التواب؛ رمضان (1985) : **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: 106.

37- عبد اللطيف؛ محمد حماسة (1983) : **النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)**، الطبعة الأولى سنة 1983م، 1403هـ، القاهرة، ص: 33، 36، 113.

38- عتيق؛ عبد العزيز (1972) : **المدخل إلى علم الصرف**، طبعة دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص: 104-106.

39- عمر؛ أحمد مختار (1976) : **دراسة الصّوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ص: 310، 192.

40- فليش؛ هنري (بدون) : **العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد**، ترجمة عبد الصّبور شاهين، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، ص: 49.

41- قمحاوي؛ محمد الصادق (1973): **البرهان في تجويد القرآن**، الطبعة العاشرة 1973م مكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، مصر، ص: 40-44 .

42- المحجوب؛ فاطمة (1976) : **دراسات في علم اللغة**، طبعة دار النهضة العربية، القاهرة، ص: 109.

43- اليازجي؛ ناصيف (بدون) : **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب**، الطبعة الأولى، دار القلم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص: 481.

ثانياً- المصادر والمراجع الإفرنجية:

44- Chomsky N., 1965 - **Aspects of the Theory of Syntax.** The M .I .T Press 1998, Twentieth Printing, p. 4.